

أضواء البيان

@ 337 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَ مِنْ الْجَاهِلِينَ } ، وقوله : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } ، وقوله : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ الْإِسْ رُضِ كُلِّهُمْ جَمِيعًا } ، وقوله : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . } ، إلى غير ذلك من الآيات . وقد قدمنا هذا في سورة يونس . قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ } . تقدم الكلام على ما يوضح معنى هذه الآية الكريمة في سورة الحجر . وقوله جل وعلا : { وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } . . .

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن إنباته بالماء ما يأكله الناس من الحبوب والثمار ، وما تأكله المواشي من المرعى من أعظم نعمه على بني آدم ، ومن أوضح آياته الدالة على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده . وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة ، كقوله : { أَوْلَامُ يَرَوْنَ أَنزَامًا نَسُوقُ الْمَاءِ إِلَى الْإِسْ رُضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ } وقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْإِسْ رُضَ مَهْدًا وَسَلَاكًا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى } ، وقوله : { وَالإِسْ رُضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَاللَّانِعَامِكُمْ } ، وقوله : { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الرِّصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ } ، وقوله : { أَمْ مِّنْ خَلْقٍ السَّمَاوَاتِ وَالْإِسْ رُضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي بَلَدٍ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ } وقوله : { وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا } والآيات بمثل هذا كثيرة جدا . . .

تنبيهان .

الأول اعلم أن النظر في هذه الآيات واجب ، لما تقرر في الأصول (أن صيغة الأمر تقتضي الوجوب إلا لدليل يصرّفها عن الوجوب) . والثاني جل وعلا أمر الإنسان أن ينظر